الثلاثاء ـ العدد (١٢٤٦) ٨ ـ ١٤ ذو الحجة ١٤١٧ هـ الموافق ١٥ ـ ٢١ ابريل ١٩٩٧ (السنة ٢٨)
Tuesday (No. 1246) 15 - 21/4/1997 (Year 28)

القرضاوي والنشمي وصبري يتحدثون عن مكانة القدس في نفوس المسلمين

AL-MUJTAMA'A
المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم

غلام نبي نوشهري لـ «المجتمع»: الجهاد الكشميري يزداد رسوخا وانطلاقا ضد الاحتلال الهندوسي

العلاقات الصينية الإسرائيلية ومخاطرها على العالم الإسلامي

الكويت ٥٠٠ فلس ـ السعودية ٦ ريالات ـ البحرين ٦٠٠ فلس ـ قطر ٦ ريالات ـ الإمارات ٦ دراهم ـ سلطنة عمان ٧٠٠ بيسة ـ الأردن ٧٠٠ فلس ـ مصر جنيهان ـ السودان ٢٥ جنيها ـ اليمن ٣٠ ريال ـ لبنان ١٥٠٠ ليرة ـ المغرب ١٢ درهما
Australia AUD 4 - Belgium BF 100 - Canada CAD 4 - France FF 15 - Germany DM 3 - India INR 50 - Italy Lire 5000 - Netherlands HFl 10 - Pakistan PRS 40 - Singapor S$ 5 - Switzerland CHF 7 - Turkey TL 50000 - UK £ 2 - USA $ 3

العلاقات الصينية ـ الإسرائيلية ومخاطرها على العالم الإسلامي

■ رغم السرية التامة كشفت هذه الصورة زيارة موشي أرينز للصين

نيودلهي: جهاد محمد

«لقد كنتم في يوم من الأيام منبوذين في هذه المنطقة، أما اليوم فإن أحباءكم لايزالون يزيدون يوماً بعد يوم»، كانت هذه الكلمات جزءاً من الخطاب الذي ألقاه الرئيس الأمريكي بيل كلينتون أمام أعضاء الكنيست الإسرائيلي في ٢٧ أكتوبر عام ١٩٩٥م.

والمراقب لتطور العلاقات بين إسرائيل ودول العالم بصورة عامة ، يجد أن تل أبيب استطاعت حتى الآن ـ ومنذ بداية مايسمى بالحل السلمي ـ تحقيق العديد من المكاسب، أهمها الانفتاح على العالم سياسياً واقتصاديا وعسكريا، بعد أن ظلت تعاني من العزلة السياسية والاقتصادية لفترة طويلة، وكان لهذه العزلة انعكاساتها الحادة على الكيان السياسي من ناحية وعلى الاقتصاد الإسرائيلي من ناحية أخرى والذي عانى في العقود الماضية من ارتفاع معدلات التضخم والبطالة وعجز دائم في الميزان التجاري وتضخم المديونية الخارجية!

ولاشك أن الصين والهند كانتا هدفين رئيسيين للتحركات الإسرائيلية في المنطقة الآسيوية .

تاريخ العلاقات بين بكين وتل أبيب

وبالرغم من أن إسرائيل كانت أول دولة في الشرق الأوسط تعترف بالصين الشيوعية عام ١٩٥٠م، إلا أن الصين رفضت وبشدة إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل في ذلك الوقت، وكان من أهم الأسباب حينها تأييد إسرائيل للولايات المتحدة الأمريكية في الحرب الكورية التي اندلعت بين عامي (١٩٥٠ ـ ١٩٥٣م)، ثم بسبب الحروب العربية ـ الإسرائيلية والتي وقفت فيها الصين إلى جانب الدول العربية والقضية الفلسطينية، ولعل افتتاحها مكتباً لمنظمة التحرير الفلسطينية في بكين عام ١٩٦٤م يأتي ضمن ذلك الدعم، وحاولت إسرائيل في نهاية عقد الستينيات وبداية السبعينيات إغراء الصين بفتح قنصلية لها في القدس مع وعود بمساعدات مالية وتقنية وعسكرية مختلفة، إلا أن بكين رفضت ذلك باعتبار أن القدس أرض محتلة ولايجوز لإسرائيل التمسك بها، وقد علق الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية ـ في ذلك الوقت ـ على الموقف الصيني قائلاً: إن هذا الموقف نثمنه للصين، نظراً لأن الصين إحدى الدول الكبرى دائمة العضوية في مجلس الأمن ويمكنها استخدام حق الفيتو لإحباط أي توجه دولي لإقرار القدس عاصمة لإسرائيل).

ومع كل ذلك لم تهدأ محاولات الكيان الصهيوني لاختراق الجدار الصيني لمدة ربع قرن من الزمان، وبلا شك أنه كان لتمسك العرب بصورة عامة والفلسطينيين بصورة خاصة ـ بحقوقهم المشروعة ـ دوره في إفشال قيام مثل هذه العلاقات، هذا بالإضافة للعلاقة التجارية المتينة بين الدول العربية والصين، وخوف بكين من شبح المقاطعة العربية!

ولكن استطاعت إسرائيل وفي عام ١٩٧٩م تحديداً استغلال التناقضات والصراعات والتحولات الإقليمية والدولية في المنطقة لاختراق الجدار الصيني، وكان المفتاح في ذلك الوقت التعاون العسكري! حيث ذكرت العديد من التقارير الصحفية

ومن ضمنها (جينز ديفينس ويكلي) وهي مجلة متخصصة في الشؤون العسكرية وتصدر من لندن - عن صفقة عسكرية لأسلحة متطورة باعتها إسرائيل للصين بقيمة ثلاثة بلايين دولار، وذكرت في معرض حديثها أن الصين والتي كانت تعاني من عجز في قطع الغيار والمعدات العسكرية السوفييتية، خاصة بعد الخلاف الأيديولوجي الذي دبّ بين الدولتين، تطلعت للحصول على الأسلحة السوفييتية والتي استولت عليها إسرائيل من العرب في حروب عام ١٩٦٧م وطورتها بعد ذلك.

ولعل الذي ساعد في تطور العلاقات بين بكين وتل أبيب في نهاية عقد السبعينيات عاملان رئيسيان هما: اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل ١٩٧٩م، وثانيا سياسة الانفتاح الصيني على العالم والتي بدأت تظهر سماتها بعد وفاة ماوتسي تونج عام ١٩٧٦م «انظر الجدول رقم ١».

وهكذا بدأت معالم العلاقات بين البلدين تظهر، ليس في المجال العسكري فحسب، بل في المجال التجاري كذلك، فبعد صفقة الأسلحة عام ١٩٧٩م كانت هناك صفقة أخرى عام ١٩٨٤م، ثم قطع التعاون شوطاً كبيراً في أوائل عام ١٩٨٨م من خلال قيام الكيان الصهيوني بمساعدة الصين سراً على بناء نظام للرقابة المتقدمة على امتداد حدودها مع الاتحاد السوفييتي البالغة ٦٦٧٩ كم، ثم بدأ الجانبان الإسرائيلي والصيني برنامجاً لتطوير صاروخ بحري مشتق من صاروخ غيبربيل الإسرائيلي، بل إن العديد من التقارير الصحفية في ذلك الوقت أكدت تواجد ٢٠٠ خبير عسكري إسرائيلي بصورة دائمة في بكين للاستشارات العسكرية، بناء على اتفاقية عسكرية مُوَقَّع عليها بين الطرفين في منتصف الثمانينيات!

وجاءت زيارة وزير الحرب الإسرائيلي موشي أرينز السرية لبكين في نوفمبر عام ١٩٩١م، لتضع النقاط على الحروف عن مدى رسوخ ومتانة العلاقات بين البلدين، وقد نشرت فيما بعد صحيفة (يديعوت أحرونوت) الإسرائيلية صوراً لموشي أرينز لدى زيارته لموقع عسكري قرب سور الصين، وذكرت الصحيفة أن وزير الحرب الإسرائيلي طلب في تلك الزيارة من بكين التوقف عن نقل التكنولوجيا العسكرية أو بيع الصواريخ لدول المنطقة وخاصة المملكة العربية السعودية وإيران والعراق.

أما الجانب التجاري والاقتصادي فمن

■ خريطة تبيِّن موقع الصين

لاشيء بدأت تتصاعد موجة التعاون التجاري وخاصة في منتصف الثمانينيات والذي تزامن مع اتفاقية لفتح خطوط الهواتف الدولية بين تل أبيب وبكين في مايو ١٩٨٦م وكان الغرض منها تسهيل الاتصالات بين التجار من كلا البلدين وتوسيع آفاق الاستثمارات تبعاً لما ذكرته مجلة إسرائيل «إيكونومست» عدد شهر يونيو عام ١٩٨٩م، ورغم كل ذلك فإن حجم التبادل التجاري لم يتعد المائة مليون دولار، خاصة إذا علمنا أن شبح المقاطعة العربية كان لايغيب عن انظار تجار بكين، وكانت معظم مجالات التعاون التجاري متركزة في الجانب الزراعي وصناعة النسيج والمواد الكيميائية.

عهد جديد من التعاون

مع أن العلاقات الدبلوماسية بين كلا البلدين أعلن عنه في ٢٤ يناير عام ١٩٩٢م، إلا أن إسرائيل استطاعت أن تدخل الساحة الصينية رسميا قبل ذلك، وتحديداً في ١٥ يونيو عام ١٩٩٠م، حيث وافقت الصين في ذلك اليوم على فتح مكتب لأكاديمية العلوم الطبيعية والإنسانية الإسرائيلية في بكين، وكانت هذه اللافتة غطاءً ظاهره تشجيع التبادل الثقافي والعلمي بين البلدين، بيد أن الحقيقة كانت غير ذلك، حيث وصف بالمكتب وعومل كقنصلية إسرائيلية في بكين، وقد أثار الإعلان عنه في ذلك الوقت تساؤلات عديدة حول احتمالات أن تكون هذه هي الخطوة الأولى في طريق اعتراف الصين بإسرائيل رسمياً وإقامة علاقات دبلوماسية كاملة بعد قطيعة دامت أربع عقود على الأقل!! وجاءت الأيام التالية لتؤكد تلك التساؤلات، خاصة مع افتتاح الصين مكتب تبادل ثقافي وسياحي لها في القدس في نهاية عام ١٩٩١م! وقد كان لهذه النشاطات أثرها على الخطاب الصيني السياسي .. وهكذا بعد أن كانت الصين تصف إسرائيل بأنها صنيعة الاستعمار والإمبريالية - على حد وصفها - بدأت تؤكد استعدادها للاعتراف وإقامة علاقات مع تل أبيب شريطة توصل دول المنطقة لسلام شامل ودائم!

وكان تصويت الصين في ديسمبر عام ١٩٩١م بالجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح إلغاء الجزء الخاص بالصهيونية من قرار العنصرية تأكيداً واضحاً وصريحاً على نيتها المبرمة في تطوير علاقتها مع الكيان الصهيوني.

وقام بعدها مسؤول كبير في وزارة الخارجية الصينية (يانج فوشانج) بزيارة لتل أبيب وسط ترحيب إسرائيلي كبير، وما إن مرت ثلاثة أسابيع على زيارة المسؤول الصيني حتى

جنت إسرائيل من علاقاتها بالصين كثيراً من الفوائد يأتي على رأسها توقف الصين عن إمداد دول الشرق الأوسط بالصواريخ والأسلحة المتطورة

كان ديفيد ليفي - وزير الخارجية الإسرائيلي في ذلك الوقت - في بكين في زيارة رسمية (٢٢ يناير ١٩٩٢م) ولم يغادر مطار بكين حتى أعلن الطرفان الصيني والإسرائيلي عن رفع مستوى العلاقات بين البلدين إلى مستوى الدبلوماسية الكاملة، وانفرجت أسارير الساسة اليهود وغمرهم الفرح على تحقيق هذا النصر السياسي الكبير، واستطاعت إسرائيل بهذه الخطوة أن تحقق العديد من الأحلام التي طالما راودت مؤسسيها مثل بن غوريون، في أن تصبح تل أبيب دولة معترفا بها من قبل العملاق الصيني، إن الأسبوع الأخير من شهر يناير عام ١٩٩٢م كان ضربة الموسم بالنسبة لإسرائيل فقد كسبت خلاله دولتين لهما ثقلهما الإقليمي ويحويان معاً سوقاً استهلاكياً كبيراً (٣٦٪ من سكان العالم) ألا وهما الهند والصين. «انظر الجدول رقم ٢».

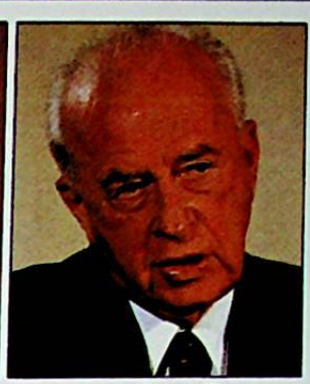

■ إسحاق رابين

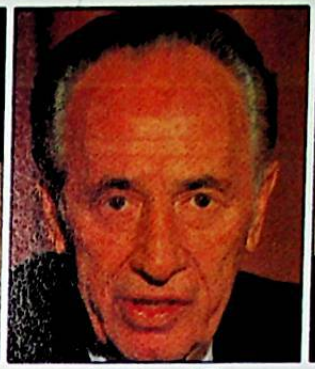

■ شيمون بيريز

■ ديفيد ليفي

لماذا اعترفت الصين بإسرائيل؟

لا نستطيع أن نمضي قدماً في الحديث عن مخاطر وأبعاد العلاقات بين تل أبيب وبكين دونما أن نذكر الأسباب الحقيقية وراء اعتراف الصين بإسرائيل، خاصة إذا علمنا أن الصين لازالت تختلف مع إسرائيل في عدد من القضايا الجوهرية ووجهات النظر! ولعل أهم هذه الأسباب مايلي:

أولاً: إن الصين تعيش وسط مشاكل متشعبة ومتشابكة مع العديد من دول منطقة جنوب وشرق آسيا!! فمن قضية هونغ كونغ وتايوان وانضمامهما للصين والذي من شأنه أن يرتقي بها إلى مصاف القوى العظمى إلى النزاع الصيني - الياباني حول السيادة على مجموعة جزر في شرق الصين (جزر دياويو) وهو خلاف قديم، وهناك مسألة المليون كيلو متراً مربعاً الملحقة بروسيا منذ عام ١٨٥٨م والـ ٨٣ر٥٠٠ كيلو متراً من الجزء الشمالي الشرقي من الهند وكلاهما تطالب بهما الصين على أنه جزء منها ليضاف إلى (٩٥٧١٣٠٠) كيلو متراً مربعاً والتي هي مساحة الصين! ثم العلاقات الساخنة بين الصين وتايوان وكذلك مثلث القوى الكبرى في آسيا (الصين - الهند - باكستان) الذي - غالباً مايسوده التوتر، ولعل بيتس جيل المحلل في معهد استوكهولم الدولي لأبحاث السلام قد أشار إلى نقطة جوهرية عندما قال (إن باكستان ليست أكثر الدول إثارة لقلق الهند .. فالصين بالنسبة لها تأتي على رأس القائمة وكذلك الأمر لبكين) .. وعبر هذا الباب استطاعت إسرائيل أن تستفيد من التناقضات والصراعات والتحولات الإقليمية لتخرق جدار الصين، هذا بالإضافة لتطلع الصين إلى الحصول على التكنولوجيا العسكرية المتطورة من إسرائيل خاصة بعد أن تبين لها من خلال حرب فيتنام الفارق في المستوى التقني بين الأسلحة الشرقية من ناحية والأسلحة الأمريكية والغربية من ناحية أخرى!

ويكفي أن نذكر في هذا السياق أن الصين تعد من أكثر دول العالم إنفاقاً على المجال العسكري.. حيث بلغ معدل إنفاقها (١٨) مليار دولار في عام ١٩٩٣م وهذا متضمن تطوير قدراتها العسكرية وتصنيع الطائرات المقاتلة والسفن الحربية والأسلحة البيولوجية، هذا إضافة إلى الاستمرار في تطوير برنامجها النووي!

أهم المحطات في العلاقات بين البلدين حتى يناير ١٩٩٢م	
عام ١٩٥٠م	إسرائيل أول دولة في الشرق الأوسط تعترف بالصين الشيوعية!
عام ١٩٧٩م	بعد ربع قرن من القطيعة انباء عن صفقة عسكرية بقيمة ثلاثة بلايين دولار
عام ١٩٨٤م	صفقة عسكرية ثانية بين بكين وتل ابيب
مايو ١٩٨٦م	اتفاقية بين البلدين لفتح خطوط الهواتف الدولية
اوائل ١٩٨٨م	الجانبان الصيني والإسرائيلي يبدآن معاً برنامجاً لتطوير صاروخ بحري
١٥ يونيو ١٩٩٠م	افتتاح مكتب لأكاديمية العلوم الإسرائيلية في بكين
اوائل نوفمبر ١٩٩١م	وزير الحرب الإسرائيلي موشي اريبز في بكين (سراً)
اواخر نوفمبر ١٩٩١م	اول وفد تجاري إسرائيلي يزور بكين لمدة (١١) يوما
ديسمبر ١٩٩١م	التصويت لصالح دولة إسرائيل في الأمم المتحدة حول إلغاء الجزء الخاص بالصهيونية في تعريف العنصرية
ديسمبر ١٩٩١م	مسؤول صيني (يانج فوشانج) يزور إسرائيل
٢٢ يناير ١٩٩٢م	ديفيد ليفي يزور بكين عندما كان وزير الخارجية الإسرائيلي وسط ترحيب صيني

جدول رقم «١»

ثانياً: رغبة الصين في أن تخرج من مرحلة الانكفاء على الذات وأن تلعب دوراً مؤثراً في المنطقة بأسرها، ولعل هذه الرغبة تشكلت عناصرها مع انتهاء الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة معه! بين القوتين العظميين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي.

ومن هنا فإن الصين كانت متشوقة للمشاركة فيما يسمى بعملية السلام في الشرق الأوسط .. غير أن تل أبيب أكدت في رسالة واضحة على لسان أحد مسؤوليها فيما بعد أن المشاركة في مؤتمر السلام مرهونة باعتراف بكين صراحة بإسرائيل!

وماهي إلا أسابيع حتى وصل ياسر عرفات إلى بكين في أوائل شهر ديسمبر عام ١٩٩١م ليؤكد على أهمية مشاركة الصين في مؤتمر السلام، الأمر الذي فهمه القادة الصينيون على أنه إشارة واضحة على ترحيب الفلسطينيين بالعلاقات بين بكين وتل أبيب.

هنا لابد من الإشارة إلى أن الدول العربية كانت تعول كثيراً على الصين كدولة عظمى وعضو دائم في مجلس الأمن لممارسة دور في إعادة التوازن في منطقة الشرق الأوسط .. خاصة في ظل الدور الأمريكي المنحاز كليا لإسرائيل! وهذا مالم يحدث حتى الآن.

ثالثاً: بعد المشاكل الداخلية التي حدثت في الصين ضد المتظاهرين في ميدان (تيانانمين) عام ١٩٨٩م وتضيف الولايات المتحدة بكين على إثرها من ضمن الـ ١٣ دولة التي لاتحترم حقوق الإنسان في سجلها السنوي! الأمر الذي زاد من توتر العلاقات بين البلدين .. رغبت الصين على ضوء ماسبق أن تخرج من العزلة الدولية والأمريكية عن طريق إقامة علاقات مع إسرائيل.. حيث إنه شعور متوارث بصورة عامة أن العلاقات الوطيدة مع تل أبيب تتناسب تناسباً طرديا مع العلاقات الوطيدة والحميمة مع واشنطن! سواء عبر اللوبي اليهودي داخل الولايات المتحدة أو عبر الإيماء لواشنطن بأن الصين جادة في إقامة علاقات وطيدة مع

مختلف دول العالم بما فيها إسرائيل، والتي كانت تطلق عليها سابقاً صنيعة الإمبريالية! وهنا لابد أن نؤكد على أن الولايات المتحدة تفرض نفسها على أرضية المصالح الاقتصادية في جميع دوائر النشاط الإقليمي للصين، ولهذا فإن نمطاً من المشاركة الدولية يفرض نفسه في تنمية واستقرار علاقات الاعتماد المتبادل.

رابعاً: بعد مؤتمر مدريد واللقاءات بين الوفود الفلسطينية والأردنية وغيرها مع الوفد الإسرائيلي وتوقيع اتفاقيات السلام بين بلدان الشرق الأوسط، رأت الصين أن الوقت قد حان للاستفادة من قدرات وإمكانيات إسرائيل سواء العسكرية أو التصنيعية علناً دون الحاجة للكتمان!

وللأسف فإن نتائج سياسة التطبيع والاعتراف بشرعية وجود الكيان الصهيوني التي أقرتها الاتفاقيات عبر العقود الماضية فتحت الطريق للاعتراف بإسرائيل من قبل عدد كبير من الدول الآسيوية والإفريقية والأوروبية!!

ما الذي جنته إسرائيل من هذا التعاون؟

إسرائيل كانت لها مصالح عليا بقيام مثل هذه العلاقات مع الصين .. فالصين كانت الدولة الوحيدة من الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن التي لم تعترف بإسرائيل حتى عام ١٩٩٢م!! الأمر الذي أدى إلى الشعور بشيء من الانزعاج للكيان الصهيوني في المجتمع الدولي.

ولهذا فإن إسرائيل كانت حريصة جداً على أن تقيم علاقات دبلوماسية مع مختلف دول العالم وعلى رأسها المارد الصيني.. وفائدة أخرى تطمع إسرائيل في الحصول عليها ألا وهي توقف الصين عن إمداد دول منطقة الشرق الأوسط (إيران، السعودية، العراق، سورية، مصر) بالصواريخ والأسلحة العسكرية حفاظاً على التوازن في المنطقة - على حد زعم إسرائيل - وكان هذا المطلب معلنا عنه وبصراحة أثناء زيارة الرئيس الإسرائيلي هيرزوج لبكين في ٢٤ ديسمبر عام ١٩٩٢م حيث ذكر أن بلاده قلقة بشأن الصواريخ والأسلحة التي باعتها الصين لإيران والعراق أثناء حربهما، وقلقة من جهة الصواريخ البالستية الصينية والتي اشترتها السعودية من الصين عام ١٩٨٦م! وأضاف أن أكثر ما يقلق بلاده أنباء التعاون الصيني - الإيراني، والصيني - السوري، والصيني - الباكستاني في المجال النووي!

غير أن الراديو الإسرائيلي ذكر لاحقاً بأن الصين تعهدت لحكومة تل أبيب بأنها لن تبيع صواريخ أو أسلحة عسكرية لدول منطقة الشرق الأوسط ابتداءً من الآن!

أهم المحطات في العلاقات منذ ٢٤ يناير ١٩٩٢م وحتى الآن

٢٤ يناير ١٩٩٢م	الإعلان من الطرفين عن رفع العلاقات إلى مستوى الدبلوماسية الكاملة
٢٤ ديسمبر ١٩٩٢م	الرئيس الإسرائيلي يزور بكين
مايو ١٩٩٣م	وزير الخارجية الإسرائيلي بيريز يزور الصين ويوقع عدداً من الاتفاقيات
أكتوبر ١٩٩٣م	رئيس الوزراء الإسرائيلي رابين يزور بكين في جولة في المنطقة
سبتمبر ١٩٩٢م	وزير الخارجية الصيني يزور تل ابيب في جولة في المنطقة (أول زيارة رسمية)
سبتمبر ١٩٩٦م	روسيا تفشل صفقة عسكرية بين الصين وإسرائيل بقيمة ٢٥ مليون دولار وواشنطن تحذر إسرائيل من بيع أسلحة للصين
نوفمبر ١٩٩٦م	انباء عن وفد تجاري صيني يزور تل ابيب
نوفمبر ١٩٩٦م	نائب رئيس الوزراء الصيني لي لان كينغ يؤجل زيارته لإسرائيل لوقت لاحق والتي كان مزمعاً القيام بها.

جدول رقم «٢»

أما المصلحة الثالثة التي بدأت إسرائيل بقطف ثمارها.. فهي أن الصين قارة بشرية بما تعنيه الكلمة .. فنحن أمام ١٫٢ مليار نسمة عام ١٩٩٦م ومليارى نسمة عام ٢٠٥٠ م وبكلمات أخرى نحن أمام سوق استهلاكي غير عادي، وهذا الأمر سيكون مدعاة بلا شك لنشاط وتحركات التجار والمستثمرين اليهود!.

زيارة الرئيس الإسرائيلي.. والحملات المتلاحقة!

«العلم الإسرائيلي ذو اللونين الأبيض والأزرق مع نجمة داود ترفرف في سماء مطار بكين الدولي، حيث سيصل الرئيس الإسرائيلي

الصين

المساحة ٣٫٧ مليون ميل مربع
عدد السكان ١٫٢ مليار نسمة (٢٧ مولود في الدقيقة)
تاريخ عودة هونغ كونغ : يوليو ١٩٩٧م
دخل الفرد السنوي ٢٤٠٠ دولار عام ١٩٩٤م
الصادرات : ٨٤٫٥ مليار عام ١٩٩٢م
الواردات : ٨٠٫٦ مليار دولار عام ١٩٩٢م
الأولى في إنتاج الحبوب والقطن والأرز والقمح والفحم
الثانية في إنتاج الشاي والذرة والسمك والقصدير والحديد
الثالثة في إنتاج البطاطا والضأن والخشب ومخزون الفحم
السادسة في إنتاج النحاس
السابعة في الذهب
نفقات الدفاع : ٢٨٫٥ مليار دولار عام ١٩٩٤م
القوات المسلحة العاملة : ثلاثة ملايين تقريبا

جدول رقم «٣»

حاييم هيرزوج للصين في أول زيارة رسمية لمسؤول إسرائيلي رفيع المستوى بعد أحد عشر شهراً فقط من العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين البلدين، هكذا وضعت الصحف الصينية زيارة الرئيس الإسرائيلي والتي قام بها في ٢٤ ديسمبر ١٩٩٢م، وأجرى خلالها محادثات مع نظيره الصيني! وسط استغراب من الدول الأخرى، خاصة وأن تلك الفترة كانت حافلة بالمصائب التي سودت وجه إسرائيل في المحافل الدولية .. حيث كان حينها المبعدون الفلسطينيون قد نزلوا جديداً في مرج الزهور! وما صاحبها من حوادث وتداعيات، وزار خلالها الرئيس الإسرائيلي مدينة شانج هاي ووضع باقة من الزهور أمام عمارتين قيل إن المهاجرين اليهود الذين نزحوا خلال الحرب العالمية الثانية سكنوا فيها!.

وبعدها بستة أشهر زار وزير الخارجية الإسرائيلي - آنذاك - شيمون بيريز بكين في زيارة دامت ستة أيام وقع خلالها الطرفان عدداً من الاتفاقيات في مجال الطيران والاقتصاد والمجال التقني!

وفي أكتوبر عام ١٩٩٣م - أي بعد ستة أشهر من زيارة وزير الخارجية الإسرائيلي - قام رابين بزيارة بكين وسط ترحيب صيني كبير، والتي كان من ثمارها فتح خطوط الطيران بين بكين وتل أبيب وعدد من الاتفاقيات التجارية الأخرى ... وهكذا فإن المتوقع أن حجم التبادل التجاري بين الدولتين الآن أضعاف ما كان عليه قبل عقد من الزمان، أما في المجال العسكري بين البلدين فلازال هناك تعاون وثيق، حيث ذكرت الصحف الإسرائيلية كصحيفة (هآرتز) بتاريخ ١٩٩٦/١٠/٢٩م بأن الولايات المتحدة حذرت إسرائيل قبل فترة من بيع أسلحة إلى الصين أو مدها بتكنولوجيا متطورة يمكن أن تقلب التوازن العسكري في آسيا!

وقالت الصحيفة بأن الولايات المتحدة تشعر بالقلق بصورة خاصة بشأن المفاوضات التي تجريها إسرائيل مع الصين لبيعها طائرات رادار من نوع (فالكون).

وفي هذا السياق ذكرت جريدة الخليج الإماراتية في منتصف شهر سبتمبر ١٩٩٦م أن روسيا منعت إبرام عقد عسكري كبير بين إسرائيل والصين تصل قيمته إلى ٢٥٠ مليون دولار.. حيث ذكرت أن هذا المشروع يتعلق بتكليف الشركة العامة الإسرائيلية لصناعات الطيران بتحديث طائرات شحن روسية الصنع من طراز (ايليوش) يستخدمها سلاح الجو الصيني .. وكان يتعين على الصينيين - آنذاك - الحصول على موافقة موسكو بهذا الشأن بموجب اتفاق وقع بين الطرفين سابقاً.

الدور المطلوب؟

لابد من الإشارة بداية إلى عدد من الأمور والتي قد تسهم في إبقاء جذوة الأمل في ضمور هذه العلاقة بين بكين وتل أبيب.

الأمر الأول : إن الصين لم تعرف صراعاً مع العالم العربي والإسلامي عبر العصور الماضية .. كما هو الحال مع المعسكر الغربي أو الاتحاد السوفييتي أو الهند .. وقد شهد التاريخ بمدى الثقة المتبادلة وحسن الجوار بين الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية.

الأمر الثاني: العلاقات العربية ـ الصينية خلال هذا القرن شهدت تعاوناً سواء في مضمار قيام حركة عدم الانحياز أو على صعيد مساندة معظم الدول العربية لمطالب الصين في اكتساب الشرعية الدولية عام ١٩٧١م، عندما كانت حكومة تايوان حتى ذلك التاريخ تحتل مقعد الصين في مجلس الأمن والأمم المتحدة!.

الأمر الثالث : إن الصين لا تستطيع أن تفرِّط بسهولة في أكثر المناطق حيوية في العالم ـ حيث حقول البترول ـ خاصة في ضوء الدراسات التي تشير إلى نضوب كثير من آبار النفط في الصين نتيجة للاستهلاك الكبير .. ولهذا فإن منطقة الشرق الأوسط تستطيع استغلال النفط كأداة سياسية في ممارسة لعبة الضغط والاحتواء.

الأمر الرابع: إنه من غير المتوقع أن تستجيب الصين لرغبات إسرائيل في وقف تصدير الأسلحة والصواريخ لدول الشرق الأوسط .. خاصة في ضوء حاجتها لتسويق كميات كبيرة من إنتاجها العسكري لتعزيز اقتصادها. انظر قضايا دولية عدد (٣٤٠)، من كل ماسبق ولأسباب أخرى فإن الدول العربية وبما لديها من إمكانات بشرية واقتصادية واستراتيجية يجب عليها أن تقف سداً منيعاً ضد أطماع إسرائيل في تصيد الأول وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بدولة عظمى كالصين.

إن سياسة الضغط والاحتواء والتوازن على بكين من قبل الدول العربية تهدف إلى عدة أمور :

أولاً : ضمان عدم تشكيل العلاقات الصينية ـ الإسرائيلية طوقا عسكريا يهدد مصالح دول المنطقة وهذا ما تخطط له إسرائيل .

ثانيا: إن الدول العربية والإسلامية في ظل الدور الأمريكي المنحاز لإسرائيل كليا تحتاج إلى إقامة علاقات تعاون وتحالف مع أقطاب دولية لكسر الهيمنة الأمريكية على المنطقة، ولعل الصين هي المرشحة لذلك.

ثالثا: إن عددا من الأبحاث الغربية تتوقع أن تأخذ الكرة الأرضية شكل التنسيق الآسيوي، في إشارة إلى أن الصين ستصبح الدولة الأقوى في العالم قبل منتصف القرن الحادي والعشرين، خاصة مع العودة الأكيدة لهونج كونج في يوليو عام ١٩٩٧م والعودة المحتملة لتايوان، والذي سيشكل انضمامها للصين ارتقاءها لمصاف الدول العظمى، وعلى الدول العربية والإسلامية الا تتناسى هذه الحقائق أيضا «انظر الجدول رقم ٣».

وأخيرا لابد من الإشارة إلى أن الصين لاتريد التفريط بروابطها مع دول العالم الإسلامي، ولعل تأجيل الزيارة المقررة لنائب رئيس الوزراء الصيني «لي لان كينغ» إلى تل أبيب تأتي ضمن هذا السياق، حيث ذكرت جريدة الراي الأردنية ١٩٩٦/١١/٦م نقلا عن صحيفة «الجروزاليم بوست الإسرائيلية » أن الزيارة التي كان من المقرر أن يقوم بها إلى إسرائيل نائب رئيس الوزراء الصيني وعدد من رجال الأعمال المسؤولين الصينيين تم تأجيلها، حيث شهدت تلك الفترة تعثر مايسمى بعملية السلام وتوتر العلاقات بين تل أبيب وعدد من العواصم العربية!!

إنها دعوة وبصدق للعواصم العربية والإسلامية لمراجعة حساباتها بشأن عملية السلام، واستثمار علاقاتها مع الدول الصديقة والمجاورة لعزل إسرائيل سياسيا واقتصاديا من جديد وحينها تكون قد حانت ساعة زوال دولة إسرائيل وعودة فلسطين المحتلة كاملة إلى أحضان العالم الإسلامي.■

يهود الصين..

بقلم: د. عبد الوهاب المسيري (*)

«يهود الصين» جماعة يهودية كبيرة كانت تعيش في مدينة كايفنج عاصمة مقاطعة هونان الواقعة على ضفاف النهر الأصفر، ولذا يُقال لهم أيضاً «يهود كايفنج»، ويبدو أن أصولهم تعود إلى القرنين التاسع والعاشر، حيث هاجرت مجموعة من يهود إيران وربما الهند، ويبدو أن الجماعة اليهودية كانت مهمة نوعاً، فقد عين أحد أفراد أسرة تانج أحد أعضاء طبقة الماندرين (وهي الأرستقراطية الثقافية من الموظفين ـ العلماء) مسؤولاً عنهم، فكان يزورهم ويعبدهم باسم الإمبراطور مرة كل عام، ويحرق البخور أمام المذبح، وكان المهاجرون اليهود(في بداية الأمر) يتحدثون الفارسية، وتخصصوا في المنسوجات القطنية وصباغتها وإشاعة الألوان عليها، وهي صناعة كانت متقدمة في الهند، وكان سكان الصين يتزايدون في تلك المرحلة، الأمر الذي أدى إلى نقص حاد في المنسوجات الحريرية ونشوء حاجة إلى المنسوجات القطنية، وهو ما قد يُفسر استقرار اليهود في الصين في ذلك الوقت، ومن الناحية الاجتماعية والطبقية، كان اليهود ينتمون إلى طبقة التجار والصناع التي تقع بين الفلاحين من جهة وطبقة الموظفين ـ العلماء من جهة أخرى، ومن ثم كان طموحها الاجتماعي، مثلها مثل الطبقات التي تقع في الوسط، هو الاتصال بالطبقة العليا والابتعاد عن طبقة الفلاحين.

وقد تأسس أول معبد يهودي في عام ١١٦٣م، حيث كان يُسمى معبد الطهر والحقيقة ـ وهو اسم ذو نكهة كونفوشيوسية، وكان يضم الجماعة الحاخام وأحد الوجهاء الذين كانوا يحتفظون بكتب اليهود المقدسة المكتوبة بالعبرية ويقرؤون أسفار موسى الخمسة مرة كل عام.

وقد اندمج يهود كايفنج بالتدريج، وتزاوجوا مع الصينيين، خصوصاً المسلمين، وفي مرحلة من المراحل، كان اليهود يصنفون بوصفهم مسلمين، حتى اختفى أثرهم تقريباً.

ويفسر اندماجهم، ثم انصهارهم في نهاية الأمر، على أساس انعزالهم عن يهود العالم وعدم وصول مهاجرين يهود إليهم، وكذلك على أساس الزواج المختلط وعدم وجود معاداة لليهود في هذا المجتمع، ولكن هذه الأسباب الجاهزة لا يمكنها أن تفسر الظاهرة، إذ إن السؤال يظل يطرح نفسه: لماذا تزايد الزواج المختلط؟ فهناك مجتمعات لايوجد فيها عداء لليهود، ومع ذلك لم ينصهر اليهود فيها ـ مثل الهند، ولتفسير هذه الظاهرة، لابد وأن نعود إلى الحركيات الخاصة بالمجتمع الصيني، فمن المعروف أن الكونفوشيوسية، وهي العقيدة الرسمية للدولة في الصين قبل الثورة، كانت لا تعارض التعددية الدينية مادامت هذه التعددية لا تهدد النظام السياسي، فكان المطلوب من أعضاء أي جماعة دينية أن تعترف

(*) كاتب وباحث متخصص في الصهيونية العالمية، وأستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة عين شمس ـ القاهرة.

«يهود كايفنج»

بعبادة الأسلاف والمكانة الدينية للإمبراطور، كما أنه لم تكن توجد أفكار دينية أو قومية تؤدي إلى عزل الأقليات الدينية، ذلك أن مفهوم الأمة لم يكن مفهوماً أساسياً في الصين، فالإمبراطورية هي العالم، وهي تتكون من دوائر متداخلة وتزداد درجة الهمجية فيها كلما ابتعدنا عن المركز الصيني، وهكذا فإن اليهود (وكذلك المسلمين الذين كان اليهود يقرنون بهم) عاشوا في هذا العالم دون تمييز قانوني أو اقتصادي أو اجتماعي، كما أن تركيب المجتمع الصيني (من الأسرة الممتدة، والعشيرة، والحكم من خلال السلطة المركزية) قد ساعد على هذا النمط، فهو يقلل الاحتكاك المباشر بين الأعضاء كما يقلل من احتمالات الصراع، فيتم الاحتكاك بين الجماعات من خلال مؤسسات الدولة، وهو مايساعد على تنظيم العلاقة وتقليل التوترات، وقد أدى كل هذا إلى الاندماج التدريجي لليهود وتمثلهم كثيراً من عناصر العبادة الكونفوشيوسية التي تشكل أساس التعامل بين الجماعات، وبدأ أعضاء الجماعة اليهودية يتبنون كثيراً من الطقوس البوذية والطاوية مع الطقوس اليهودية جنباً إلى جنب، والواقع أن قبول عناصر غير يهودية في اليهودية هو أمر ليس بجديد على اليهودية، بسبب تركيبها الجيولوجي، كما أنه جزء من التقاليد الصينية الدينية التي لا تمانع في استيراد عناصر من الديانات الأخرى.

وكان من الممكن أن يظل الاندماج على هذا المستوى ولاينصهر اليهود تماماً لو أن الجماعة اليهودية ظلت تتعامل مع الجماعات الأخرى من خلال مؤسسات الدولة، فربما، لو حدث ذلك، لكان من الممكن أن يحتفظ يهود الصين بهويتهم الصينية اليهودية، كما حدث ليهود الهند، من خلال نظام الطائفة المغلقة، ولكن، ابتداءً من القرن الرابع عشر، أعيد تنظيم طبقة العلماء - الموظفين (بشكل أكثر انفتاحاً) من خلال النظام الإمبراطوري للامتحانات، ذلك النظام الذي فتح أمام يهود كايفنج فرصاً ضخمة للحراك الاجتماعي، فدخلت عناصر من قياداتهم الامتحانات ونجحت فيها وانضمت إلى البيروقراطية الحاكمة، وقد كان الانخراط في هذه الوظائف يعد في نظر المجتمع الصيني أكثر أهمية وقيمة من الأعمال التجارية، كما كان يعني نقله طبقية كبيرة وإعفاءً من السخرة الجسدية، فالعمل كموظف بالحكومة كان يمنح الإنسان في الصين السلطة والمكانة والثروة.

رغم محاولات إحياء الوجود اليهودي في الصين إلا أن انصهار يهود الصين في المجتمع لم يساعد كثيراً على ذلك

لكن هذا النجاح أفقد أعضاء الجماعة اليهودية البُعد اليهودي من هويتهم الصينية اليهودية، إذ إن العمل في مثل هذه الوظائف كان يتطلب دراسة الكلاسيكيات الصينية والتفقه فيها، واستيعاب المثل الكونفوشيوسية واستبطانها تماماً، فالانخراط في سلك المثقفين الكونفوشيوسيين لم يكن مجرد عمل أكاديمي، وإنما كان أمراً يؤثر في شخصية الإنسان نفسه وفي منظوره الفلسفي والديني، لهذا، كان يتوقع من اليهودي الذي ينخرط في سلك العلماء - الموظفين، أن يتصرف باعتباره كونفوشيوسياً داخل إطار الفكر الكونفوشيوسي، أي أن الانتماء إلى الوظيفة كان يتطلب تحولاً جوهرياً داخلياً وخارجياً.

وعلى الرغم من أن المؤسسة الدينية اليهودية في الصين نظرت بعين الشك إلى طبقة العلماء - الموظفين من اليهود، فإن هؤلاء أصروا على أنه لا تعارض بين الكونفوشيوسية واليهودية، وبالتدريج، تحولوا إلى النخبة القائدة في الجماعة، وبدأت رؤيتهم الكونفوشيوسية تتسلل إليها ككل حتى امتزجت اليهودية بالكونفوشيوسية، الأمر الذي أسرع بهذا الاتجاه أن الانتماء إلى طبقة العلماء - الموظفين كان يعني تناقص عدد أعضاء الجماعة، إذ إن هذا النظام يمنع تعيين الموظف في محل ميلاده لمنع الوساطة والمحسوبية، ولذا كان على اليهودي الذي يُعين عالماً - موظفاً أن يترك كايفنج، الأمر الذي كان يؤدي بالتالي إلى تناقص عدد الجماعة والعناصر القيادية.

وقد كانت طبقة العلماء - الموظفين متآزرة مع أن التعيين فيها كان يتم عن طريق الامتحان الإمبراطوري، ولذلك، كان على اليهودي الذي ينضم إليها أن يصبح واعياً بمكانته الاجتماعية وبوضعه الطبقي وبانتمائه إلى الطبقة الجديدة، وهو ما جعل الزواج المختلط من داخل الطبقة مسألة شبه حتمية، خصوصاً وأن العلماء - الموظفين كانوا يعيشون بعيداً عن أسرهم وعشائرهم

والواقع أن تحول القيادة، وكذلك تشتتها، هو الذي ساعد على تحويل اليهودية من الداخل، فبدأ اليهود بالإشارة إلى الخالق بالمصطلح الكونفوشيوسي، فكانوا يشيرون إليه بأنه «تاين»، أي «السماء»، أو «طاو»، أي «الطريق»، ثم تعمق الأمر وبدأ اليهود يتبعون عبادة الدولة التي تتضمن تبجيل بل وتقديس كونفوشيوس.

وتأثر اليهود كذلك بأهم مظاهر العبادة الكونفوشيوسية وهي عبادة الأسلاف، ومن ثم، نشأت إلى جوار المعبد اليهودي صالات الأسلاف التي كانت تضم الآباء العبرانيين وأولاد يعقوب الاثنى عشر وموسى وهارون ويوشع وعزرا وآخرين من مشاهير اليهود، وتبنى اليهود كذلك طقوساً كونفوشيوسية للاحتفال ببلوغ سن التكليف الشرعي وبالزواج والموت والدفن، كما أنهم حاولوا أن يجدوا أساساً لأعيادهم وشعائرهم الدينية في الكلاسيكيات الكونفوشيوسية لا في الكتاب المقدس، وراح اليهود ينصرفون عن كثير من أهم شعائرهم التي كانت تحتفظ لهم بعزلتهم وهويتهم مثل أكل لحم الخنزير الذي كانوا يمتنعون عن أكله في الأعياد، وكانوا، عند تقديم القرابين إلى أسلافهم، يقدمون لهم لحم الضأن، كما أن اليهود لم يترجموا قط كتبهم المقدسة من العبرية إلى الصينية، ولهذا كان كيان الجماعة مهدداً دائماً بالاختفاء في حالة نسيان القيادة للعبرية - ويبدو أن هذا هو ما حدث بالفعل قبل عام ١٧٢٣م إذ إن العبرية كانت قد نسيت في ذلك التاريخ.

لكل هذا، تقوضت هوية الجماعة اليهودية من الداخل تماماً، وحينما مات آخر حاخام في القرن التاسع عشر، انتهى ماتبقى من اليهودية بحيث أصبح أعضاء الجماعة مع ستينيات القرن الماضي صينيين في ملامحهم وردائهم وعاداتهم ودينهم، وفي عام ١٩٠٠، قامت مجموعة من اليهود الإنجليز في شانغهاي بتأسيس «جماعة إنقاذ يهود الصين» التي حاولت إحياء اليهودية في كايفنج دون جدوى، حيث كانوا قد اندمجوا تماماً وكان كل مايعرفونه عن اليهودية هو أنهم يهود، ولايزال هناك نحو مائتين وخمسين صينياً من سلالة يهود كايفنج ولكنهم منصهرون تماماً، ويشبه يهود كايفنج، من بعض الوجوه، يهود الولايات المتحدة في نجاحهم وانتمائهم إلى طبقة المهنيين، وفي استبطانهم القيم الأمريكية، وفي توزعهم الجغرافي، وفي تزايد معدلات الزواج المختلط بينهم وكذلك في انتمائهم الكامل إلى مجتمعهم.■